الباب الرابع

في تفسير

﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

اعلمْ أن الحمد ثناءٌ على الفعل الجميل لمن يستحق الثناء، ومدحٌ لمنعِمٍ أنعمَ من الإرادة وأحسنَ كيف شاء. ولا يتحقق حقيقةُ الحمد كما هو حقُّها إلا للذي هو مَبْدَءٌ لجميع الفيوض والأنوار، ومُحسِنٌ على وجه البصيرة، لا مِن غير الشعور ولا من الاضطرار، فلا يوجد هذا المعنى إلا في الله الخبير البصير، وإنه هو المحسن ومِنْه المِننُ كلها في الأول والأخير، وله الحمد في هذه الدار وتلك الدار، وإليه يرجع كلُّ حمد يُنسَب إلى الأغيار.

ثم إن لفظ الحمد مصدرٌ مبنيٌّ على المعلوم والمجهول، وللفاعل والمفعول من الله ذي الجلال، ومعناه أن الله هو محمَّدٌ وهو أحمدُ على وجه الكمال. والقرينة الدالة على هذا البيان، أنه تعالى ذكر بعد الحمد صفاتٍ تستلزم هذا المعنى عند أهل العرفان. واللهُ سبحانه أومأ

في لفظ الحمد إلى صفات توجد في نوره القديم، ثم فسّر الحمدَ وجعَله مُخدَّرةً سفَرتْ عن وجهها عند ذكر الرحمن والرحيم. فإن الرحمن يدل على أن الحمد مبني على المعلوم، والرحيم يدل على المجهول كما لا يخفى على أهل العلوم.

وأشار الله سبحانه في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى أنه هو خالقُ كل شيء ومنه كلُّ ما في السماوات والأرضين. ومِن العالَمين ما يوجد في الأرض مِن زُمر المهتدين وطوائف الغاوين والضالين، فقد يزيد عالَمُ الضلال والكفر والفسق وتركِ الاعتدال، حتى يُملأ الأرضُ ظلمًا وجورًا ويترُك الناس طرقَ اللهِ ذا الجلال، لا يفهمون حقيقة العبودية، ولا يؤدّون حقّ الربوبية، فيصير الزمان كالليلة الليلاء، ويُداسُ الدين تحت هذه اللأواء. ثم يأتي الله بعالَمٍ آخر فتُبدَّل الأرضُ غيرَ الأرض وينْزل القضاء مُبدَّلاً من السماء، ويُعطَى للناس قلبٌ عارفٌ ولسانٌ ناطقٌ لشكر النعماء، فيجعلون نفوسهم كمَوْرٍ مُعبَّد لحضرة الكبرياء، ويأتونه خوفًا ورجاءً بطرفٍ مغضوض من الحياء، ووجهٍ مُقبِل نحو قبلة الاستجداء، وهمّةٍ في العبودية قارعةٍ ذُروةَ العلاء، ويشتدّ الحاجة إليهم إذا انتهى الأمر إلى كمال الضلالة، وصار الناس كسباعٍ أو نَعَمٍ من تغيُّرِ الحالة، فعند ذلك تقتضي الرحمة الإلهية والعناية الأزلية أن يُخلَق في السماء ما يدفع الظلام،

ويهدم ما عمر إبليسُ وأقام، من الأبنية والخيام. فينْزل إمامٌ من الرحمن، ليذُبّ جنودَ الشيطان. ولم يزل هذه الجنود وتلك الجنود يتحاربان، ولا يراهم إلا من أُعطِيَ له عينان، حتى غُلَّ أعناقُ الأباطيل، وانعدمَ ما يُرى لها نوعُ سرابٍ من الدليل. فما زال الإمام ظاهرًا على العِدا، ناصرًا لمن اهتدى، مُعْلِيًا معالـــمَ الهدى، مُحيِيًا مواسمَ التُّقَى، حتى يعلم الناس أنه أَسَرَ طواغيتَ الكفر وشدَّ وِثاقَها، وأخَذ سباع الأكاذيب وغلَّ أعناقَها، وهدَم عمارةَ البدعات وقوّض قِبابَها، وجمَع كلمةَ الإيمان ونظم أسبابها، وقوّى السلطنةَ السماوية وسدَّ الثغور، وأصلح شأنها وسدّد الأمور، وسكّن القلوب الراجفة، وبكّت الألسنة المرجفة، وأنار الخواطرَ المظلمة، وجدّد الدولة المُخْلِقة. وكذلك يفعل الله الفعّال، حتى يذهب الظلام والضلال، فهناك ينكص العدا على أعقابهم، وينكِّسون ما ضربوا من خيامهم، ويحلّون ما أرَّبوا من آرابهم.

ومِن أشرف العالَمين وأعجب المخلوقين، وجودُ الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين الصدّيقين، فإنهم فاقوا غيرهم في بثّ المكارم وكشفِ المظالم، وتهذيبِ الأخلاق وإرادة الخير للأنفس والآفاق، ونشرِ الصلاح والخير، وإجاحةِ الطلاح والضير، وأمرِ المعروف والنهيِ عن الذمائم، وسوقِ الشهوات كالبهائم، والتوجّهِ

إلى ربّ العبيد، وقطعِ التعلّق من الطريف والتليد، والقيامِ على طاعة الله بالقوة الجامعة والعُدّة الكاملة، والصولِ على ذراري الشيطان بالحشود المجموعة والجموع المحشودة، وتركِ الدنيا للحبيب، والتباعُدِ عن مغناها الخصيب، وتركِ مائها ومرعاها كالهجرة، وإلقاءِ الجِران في الحضرة. إنهم قومٌ لا يتمضمضُ مُقْلتُهم بالنوم، إلا في حبّ الله والدعاء للقوم. وإن الدنيا في أعين أهلها لطيفُ البِنْية مليحُ الحِلْية، وأمّا في أعينهم فهي أخبثُ من العَذِرة، وأنتنُ عن المَيتة. أقبلوا على الله كلَّ الإقبال، ومالوا إليه كلّ الميل بصدق البال. وكما أن قواعد البيت مقدَّمة على طاقٍ يُعقَّد، ورُواقٍ يُمهَّد، كذلك هؤلاء الكرام مقدَّمون في هذه الدار، على كل طبقة من طبقات الأخيار. وأُرِيتُ أن أكملَهم وأفضلهم وأعرفهم وأعلمهم نبيُّنا المصطفى، عليه التحية والصلاة والسلام في الأرض والسماوات العُلى، وإنّ أشقى الناس قومٌ أطالوا الألسنة وصالوا عليه بالهَمْز وتجسُّس العيب، غيرَ مطّلعين على سرّ الغيب. وكم من ملعونٍ في الأرض يحمده الله في السماء، وكم من معظَّمٍ في هذه الدار يُهان في يوم الجزاء.

ثم هو سبحانه أشار في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى أنه خالقُ كل شيء وأنه يُحمَد في السماء والأرضين، وأن الحامدين كانوا على حمده دائمين، وعلى ذكرهم عاكفين، وإنْ مِن شيء إلا يسبِّحه

ويحمَده في كل حين. وإن العبد إذا انسلخ عن إراداته، وتجرّدَ عن جذباته، وفنى في الله وفي طرقه وعباداته، وعرف ربَّه الذي ربّاه بعناياته، حمِده في سائر أوقاته، وأحبَّه بجميع قلبه بل بجميع ذرّاته، فعند ذلك هو عالَمٌ من العالَمين، ولذلك سُمّي إبراهيم أُمّةً في كتابِ أعلَمِ العالِمين.

ومن العالَمين زمانٌ أُرسِلَ فيهم خاتم النبيين، وعالَمٌ آخر فيه يأتي الله بآخرين من المؤمنين في آخر الزمان رحمةً على الطالبين، وإليه أشار في قوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ﴾*، فأومأ فيه إلى أحمدَين وجعَلهما مِن نعمائه الكاثرة. فالأول منهما أحمدُ المصطفى ورسولنا المجتبى، والثاني أحمدُ آخرِ الزمان، الذي سُمّي مسيحًا ومهديًّا من الله المنّان. وقد استنبطتُ هذه النكتة من قوله: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فليتدبّرْ من كان من المتدبّرين.

وعرفتَ أن العالَمين عبارة عن كل موجود سوى الله خالقِ الأنام، سواء كان مِن عالم الأرواح أو من عالم الأجسام، وسواء كان من مخلوق الأرض أو كالشمس والقمر وغيرهما من الأجرام. فكلٌّ من العالَمين داخلٌ تحت ربوبية الحضرة.

* القصص: ٧١

ثم إن فيض الربوبية أعمُّ وأكملُ وأتمُّ من كل فيض يُتصَوَّر في الأفئدة، أو يجري ذكرُه على الألسنة. ثم بعده فيض عامّ وقد خُصَّ بالنفوس الحيوانية والإنسانية، وهو فيضُ صفة الرحمانية، وذكَره الله بقوله: ﴿الرحمن﴾ وخصَّه بذوي الروح من دون الأجسام الجمادية والنباتية.

ثم بعد ذلك فيضٌ خاصٌّ وهو فيضُ صفة الرحيمية، ولا ينْزل هذا الفيض إلا على النفس التي سعَى سعيَها لكسب الفيوض المترقَّبة، ولذلك يختص بالذين آمنوا وأطاعوا ربًّا كريمًا، كما صُرّح في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾* فثبت بنصّ القرآن أن الرحيمية مخصوصة بأهل الإيمان، وأما الرحمانية فقد وسعتْ كلَّ حيوان من الحيوانات، حتى إن الشيطان نال نصيبًا منها بأمر حضرة رب الكائنات. وحاصل الكلام أن الرحيمية تتعلق بفيوضٍ تترتب على الأعمال، ويختص بالمؤمنين من دون الكافرين وأهل الضلال.

ثم بعد الرحيمية فيضٌ آخر وهو فيض الجزاء الأَتمّ والمكافاة، وإيصال الصالحين إلى نتيجة الصالحات والحسنات، وإليه أشار عزّ اسمه بقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. وإنه آخر الفيوض من رب العالمين، وما ذُكر فيضٌ بعده في كتاب الله أعلم العالِمين. والفرق في هذا

* الأحزاب: ٤٤

الفيض وفيض الرحيمية، أن الرحيمية تبلِّغ السالك إلى مقام هو وسيلة النعمة، وأمّا فيض المالكية بالمجازاة، فهو يبلِّغ السالك إلى نفس النعمة وإلى منتهى الثمرات وغاية المرادات وأقصى المقصودات. فلا خفاء أن هذا الفيض هو آخر الفيوض من الحضرة الأحدية، وللنشأة الإنسانية كالعلّة الغائية، وعليه يتمّ النعم كلها وتستكمل به دائرة المعرفة ودائرة السلسلة. ألا ترى أن سلسلة خلفاء موسى انتهت إلى نُكتةِ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فظهر عيسى في آخرها وبُدِّلَ الجور والظلم بالعدل والإحسان مِن غير حرب ومحاربين، كما يُفهَم من لفظ الدِّين، فإنه جاء بمعنى الحلم والرفق في لغة العرب وعند أدبائهم أجمعين. فاقتضت مماثلةُ نبيّنا بموسى الكليم، ومشابهةُ خلفاء موسى بخلفاء نبيِّنا الكريم، أن يظهَر في آخر هذه السلسلة رجلٌ يشابهُ المسيحَ، ويدعو إلى الله بالحلم ويضع الحربَ ويُقرِبُ السيفَ المُجيحَ، فيحشُر الناسَ بالآيات من الرحمن، لا بالسيف والسنان، فيشابهُ زمانُه زمانَ القيامة ويومَ الدين والنشور، ويملأ الأرضَ نورًا كما مُلئت بالجور والزور. وقد كتب الله أنه يُرِي نموذجَ يوم الدين قبل يوم الدين، ويحشر الناس بعد موت التقوى، وذلك وقت المسيح الموعود وهو زمان هذا المسكين، وإليه أشار في آية ﴿يَوْمِ الدِّيْنِ﴾، فليتدبّرْ من كان من المتدبّرين.

وحاصل الكلام أن في هذه الصفات التي خُصّت بالله ذي الفضل والإحسان، حقيقةً مخفيّةً ونبَأً مكتومًا من الله المنّان، وهو أنه تعالى أراد بذكرها أن يُنبِئَ رسولَه بحقيقة هذه الصفات، فأرَى حقيقتَها بأنواع التأييدات، فربّى نبيَّه وصحابتَه فأثبت بها أنه رب العالمين. ثم أتمّ عليهم نعماءه برحمانيته مِن غير عمل العاملين، فأثبتَ بها أنه أرحم الراحمين. ثم أراهم عند عَملهم برحمةٍ منه أيادِيَ حمايته، وأيّدهم بروح منه بعنايته، ووهب لهم نفوسا مطمئنة، وأنزلَ عليهم سكينة دائمة. ثم أراد أن يُرِيَهم نموذجَ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فوهب لهم المُلك والخلافة وأَلحقَ أعداءهم بالهالكين، وأهلكَ الكافرين وأزعجَهم إزعاجًا، ثم أرى نموذج النشور فأخرج من القبور إخراجًا، فدخلوا في دين الله أفواجًا، وبدَروا إليه فُرادى وأزواجًا. فرأى الصحابةُ أمواتًا يُلْفُون حياةً، ورأوا بعد المَحْل ماءً ثجّاجًا. وسُمِّيَ ذلك الزمان يومَ الدين، لأن الحق حصحص فيه ودخل في الدين أفواج من الكافرين.

ثم أراد أن يُري نموذجَ هذه الصفات في آخَرين من الأُمّة، ليكون آخِرُ المِلّة كمثل أوّلِها في الكيفية، وليتمّ أمرُ المشابهة بالأمم السابقة، كما أُشير إليه في هذه السورة، أعني قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فتدبّرْ ألفاظَ هذه الآية.

وسُمّيَ زمان المسيح الموعود يومَ الدين، لأنه زمان يحيا فيه الدين، وتُحشَر الناسُ ليقبَلوا باليقين. ولا شك ولا خلاف أنه رَبَّى زماننا هذا بأنواع التربية، وأرانا كثيرًا من فيوض الرحمانية والرحيمية، كما أرى السابقين من الأنبياء والرسل وأرباب الولاية والخُلّة، وبقِيت الصفة الرابعة من هذه الصفات، أعني التجلّي الذي يظهَر في حُلّة مَلِكٍ أو مالِكٍ في يوم الدين للمجازاة، فجعَله للمسيح الموعود كالمعجزات، وجعله حَكَمًا ومَظهَرًا للحكومة السماوية بتأييد من الغيب والآيات. وستعلم عند تفسيرِ ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هذه الحقيقةَ، وما قلتُ مِن عند نفسي بل أُعطيتُ من لدن ربي هذه النكاتِ الدقيقة، ومَن تدبّرَها حق التدبر وفكّر في هذه الآيات، علِم أن الله أخبر فيها عن المسيح ومن زمنه الذي هو زمن البركات.

ثم اعلم أن هذه الآيات قد وقعتْ كحَدٍّ مُعرِّفٍ لله خالقِ الكائنات، وإنْ كان الله تَعالَى ذاتُه عن التحديدات. ومن هذا التعليم والإفادة يتضح معنى كلمةِ الشهادة، التي هي مناط الإيمان والسعادة. وبهذه الصفات استحقّ اللهُ الطاعةَ وخُصَّ بالعبادة، فإنه يُنـــزِل هذه الفيوض بالإرادة. فإنك إذا قلتَ "لا إله إلا الله"، فمعناه عند ذوي الحصاة، أن العبادة لا يجوز لأحدٍ من المعبودين أو المعبودات، إلا

لذاتٍ غيرِ مُدرَكة مستجمِعةٍ لهذه الصفات، أعني الرحمانية والرحيمية اللتين هما أوّلُ شرطٍ لموجودٍ مستحِقّ للعبادات.

ثم اعلم أن الله اسمٌ جامد لا تُدرَك حقيقتُه لأنه اسم الذات، والذاتُ ليست من المُدرَكات، وكلُّ ما يقال في معناه فهو من قبيل الأباطيل والخزعبيلات، فإن كُنْهَ البارئ أرفعُ من الخيالات، وأبعدُ من القياسات. وإذا قلتَ "محمدٌ رسول الله"، فمعناه أن محمّدًا مَظهَرُ صفات هذه الذات وخليفتُها في الكمالات، ومُتمِّم دائرة الظلّية وخاتمُ الرسالات.

فحاصلُ ما أُبصِرُ وأَرى أن نبيَّنا خيرَ الورَى، قد ورث صفتَي ربِّنا الأعلى. ثم ورث الصحابة الحقيقةَ المحمدية الجلالية كما عرفتَ فيما مضى، وقد سُلِّمَ سيفُهم في قطعِ دابر المشركين، ولهم ذكرٌ لا يُنسى عند عَبَدة المخلوقين. وإنهم أدّوا حقَّ صفة المحمّدية، وأذاقوا كثيرا من الأيدي الحربية. وبقيتْ بعد ذلك صفة الأحمدية، التي مصبَّغة بالألوان الجمالية، مُحرِقةٌ بالنيران المُحِبّية، فورِثها المسيح الذي بُعث في زمن انقطاع الأسباب وتكسُّرِ المِلّة من الأنياب، وفقدانِ الأنصار والأحباب، وغلبةِ الأعداء وصولِ الأحزاب، ليُرِيَ اللهُ نموذجَ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بعد ليالي الظلام، وبعد انهدام قوّة الإسلام وسطوة السلاطين، وبعد كون المِلّة كالمستضعفين. فاليوم

صار ديننا كالغرباء، وما بقيتْ له سلطنة إلا في السماء، وما عرفه أهل الأرض فقاموا عليه كالأعداء. فأُرسلَ عند هذا الضعف وذهاب الشوكة عبدٌ من العباد، ليتعهّد زمانًا ماحِلاً تعهُّدَ العِهاد. وذلك هو المسيح الموعود الذي جاء عند ضعف الإسلام، لِيُرِيَ اللهُ نموذجَ الحشر والبعث والقيام ونموذجَ يوم الدين، إنعامًا منه بعد موت الناس كالأنعام. فاعلم أن هذا اليوم يوم الدين، وستعرف صدقَنا ولو بعد حين.

وههنا نكتة كشفيّة ليست من المسموع، فاسمعْ مُصغِيًا وعليك بالـــمَودوع، وهو أنه تعالى ما اختار لنفسه ههنا أربعة من الصفات، إلا لِيُرِيَ نموذجها في هذه الدنيا قبل الممات، فأشار في قوله: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ﴾ إلى أن هذا النموذج يُعطَى لصدر الإسلام، ثم للآخرين من الأمّة الداخرة. وكذلك قال في مقام آخر وهو أصدق القائلين: ﴿ثُلَّةٌ مِن الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾*. فقسم زمان الهداية والعون والنصرة، إلى زمان نبينا ﷺ وإلى الزمان الآخِر الذي هو زمانُ مسيح هذه الملّة. وكذلك قال: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾⊙، فأشار إلى المسيح الموعود وجماعته والذين

---

* الواقعة: ٤٠-٤١

⊙ الجمعة: ٤

اتّبعوهم. فثبت بنصوصٍ بيّنة من القرآن، أن هذه الصفات قد ظهرت في زمن نبيّنا ثم تظهر في آخر الزمان، وهو زمانٌ يكثر فيه الفسق والفساد، ويقلّ الصلاح والسداد، ويُجاح الإسلام كما تُجاح الدوحة، ويصير الإسلام كسليم لدغتْه الحيّة، ويصير المسلمون كأنهم الميْتة، ويُداس الدين تحت الدوائر الهائلة والنوازل النازلة السائلة. وكذلك ترون في هذا الزمان، وتشاهدون أنواع الفسق والكفر والشرك والطغيان، وترون كيف كثُر المفسدون، وقلَّ المصلحون المواسون، وحان للشريعة أن تُعدَم، وآنَ للملّة أن تُكتَم، وهذا بلاءٌ قد دَهَمَ، وعناءٌ قد هَجَمَ، وشرٌّ قد نَجَمَ، ونارٌ أحرقت العربَ والعَجَمَ. ومع ذلك ليس وقتنا وقتَ الجهاد، ولا زمنَ المرهَفات الحِداد، ولا أوانَ ضرب الأعناق والتقرين في الأصفاد، ولا زمانَ قَوْدِ أهل الضلال في السلاسل والأغلال، وإجراءِ أحكام القتل والاغتيال. فإن الوقت وقت غلبةِ الكافرين وإقبالهم، وضُرِبت الذلّة على المسلمين بأعمالهم. وكيف الجهاد ولا يُمنَع أحدٌ من الصوم والصلاة، ولا الحج والزكاة، ولا من العفّة والتقاة، وما سَلَّ كافر سيفًا على المسلمين، ليرتدّوا أو يجعَلهم عِضِينَ، فمِن العدل أن يُسَلَّ الحُسام بالحُسام، والأقلام بالأقلام. وإنّا لا نبكي على جِراحات السيف والسنان، وإنما نبكي على أكاذيب اللسان، فبالأكاذيب

كُذِّبتْ صحفُ الله وأُخفيَ أسرارُها، وصِيلَ على عمارة المِلّة وهُدّمَ دارها، فصارت كمدينة نُقِضَ أسوارها، أو حديقةٍ أُحرِقَ أشجارها، أو بستانٍ أُتلِفَ زهرها وثمارها وسُقِط أنوارها، أو بلدةٍ طيّبة غِيضَ أنهارها، أو قصورٍ مشيّدة عُفِّيَ آثارُها، ومزَّقها الممزّقون، وقيل ماتت ونعَى الناعون، وطُبعت أخبارُها وأشاعتها المشيّعون. ولكلّ كمال زوالٌ، ولكلّ ترعرُعٍ اضمحلال، كما ترى أن السيل إذا وصل إلى الجبل الراسي وقَف، والليل إذا بلغ الصبح المسفِر انكشف، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾*، فجعَل تنفُّسَ الصبح كأمر لازمٍ بعد كمال ظلمات الليل. وكذلك في قوله: ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾⊙، جُعل كمال السيل دليلَ زوالِ السيل. فأراد الله أن يردّ إلى المؤمنين أيامَهم الأولى، وأن يُرِيَهم أنه ربُّهم وأنه الرحمن والرحيم ومالكُ يومٍ فيه يُجزَى، ويُبعَث فيه الموتى. وإنكم ترون في هذا الزمان ربوبية الله المنّان ورحمانيته للإنسان والحيوان، التي تتعلّق بالأبدان، وترون أنه كيف خلق أسبابًا جديدة، ووسائل مفيدة، وصنائع لم يُرَ مِثلها فيما مضى، وعجائبَ لم يوجد مِثلها في القرون الأولى، وترون تجدُّدًا في كل ما يتعلق بالمسافر والنـــزيل

* التكوير: ١٨-١٩

⊙ هود: ٤٥

والمقيم وابن السبيل، والصحيح والعليل، والمحارب والمُصالح المُقيل، والإقامة والرحيل، وجميعِ أنواع النعماء والعراقيل، كأن الدنيا بُدّلتْ كل التبديل. فلا شك أنها ربوبية عظمى، ورحمانية كبرى. وكذلك ترى الربوبية والرحمانية والرحيمية في الأمور الدينية، وقد يُسِّرَ كلُّ أمر لطلباء العلوم الإلهية، ويُسِّرَ أمرُ التبليغ وأمر إشاعة العلوم الروحانية. وأُنزِلت الآيات لكل من يعبد الله ويبتغي السكينة من الحضرة، وانكسف القمر والشمس في رمضان وعُطّلت العِشار فلا يُسعَى عليها إلا بالندرة، وسوف ترى المركب الجديد في سبيل مكة والمدينة. وأُيِّدَ العالمون والطالبون بكثرة الكتب وأنواع أسباب المعرفة، وعُمِرَ المساجد، وحُفِظَ الساجد، وفُتِحَ أبواب الأمن والتبليغ والدعوة، وما هو إلا فيض الرحيمية. فوجب علينا أن نشهد أنها وسائل لا يوجد نظيرها في القرون الأولى، وأنه توفيق وتيسير ما سمِع نظيرَه أُذنٌ وما رأى مثلَه بصرٌ، فانظرْ إلى رحيمية ربِّنا الأعلى. ومِن رحيميته أنّا قدَرْنا على أن نطبع كتب ديننا في أيام، ما كان مِن قبل في وُسع الأوّلين أن يكتبوها في أعوام، وأنّا نقدر على أن نطّلع على أخبار أقصى الأرض في ساعات⊙، وما قدر عليه السابقون إلا

⊙ **الحاشية**: كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ *(الزلزال:٥)*. منه.

لشِقٍّ* الأنفس وبذلِ الجهد إلى سنوات. وقد فُتِحَ علينا في كل خير أبوابُ الربوبية والرحمانية والرحيمية، وكثرتْ طرقُها حتى خرج إحصاؤها من الطاقة البشرية. وأين تيسّرَ هذا للسابقين من أهل التبليغ والدعوة؟ وإن الأرض زُلزلت لنا زلزالاً، فأخرجتْ أثقالاً، وفُجّرت الأنهار، وسُجّرت البحار، وجُدّدت المراكب وعُطّلت العِشار. وإن السابقين ما رأوا كمثل ما رأينا من النعماء، وفي كل قدمٍ نعمةٌ وقد خرجت من الإحصاء. ومع ذلك كثرتْ موت القلوب وقساوة الأفئدة، كأن الناس كلهم ماتوا ولم يبق فيهم روح المعرفة، إلا قليلٌ الذي هو كالمعدوم من الندرة.

وإنّا فهمنا مما ذكرنا مِن ظهور الصفات وتجلّي الربوبيةِ والرحمانية والرحيمية كمثل الآيات، ثُمّ مِن كثرة الأموات وموتِ الناس من سُمّ الضلالات، أن يوم الحشر والنشر قريب بل على الباب، كما هو ظاهرٌ من ظهور العلامات والأسباب، فإن الربوبية والرحمانية والرحيمية تموّجتْ كتموُّج البحار، وظهرتْ وتواترت وجرت كالأنهار. فلا شك أن وقت الحشر والنشور قد أتى، وقد مضت هذه السُنّة في صحابةِ خيرِ الورى. ولا شك أن هذا اليوم يوم الدين، ويوم الحشر ويوم مالكية ربِّ السماء وظهورِ آثارها على قلوب أهل

* سهو، والصحيح: بِشِقّ. (اللجنة).

الأرضين. ولا شك أن اليوم يوم المسيح الحَكَمِ من الله أحكَمِ الحاكمين، وأنه حشرٌ بعد هلاك الناس وقد مضى نموذجه في زمن عيسى وزمنِ خاتم النبيين، فتدبّرْ ولا تكنْ من الغافلين.